



النازيون يحولون الصراع مع بريطانيا إلى حلبة ملاكمة

## الحرب بين النازيين والبريطانيين تنتقل إلى حلبة الملاكمة

### فيلم «خلف الخط» صراع درامي لجنود بريطانيين أسرى يحاولون الفرار

يمكن الذكاء والبطولة أيضا، أو هكذا أريد أن يصل إلى المشاهد من خلال أداء تلك الشخصية ومواجهتها مع خصومها. لكن السؤال الذي يمكن أن يطرح في ما يخص هذه الشخصية الدرامية الرئيسية هو أين تلك القدرات المخفية التي يمكن أن تلجأ إليها لمباغطة العدو النازي، فالحاصل أننا أمام قبول جماعي بجميع ما هو موجود أمام أولئك الأسرى وحتى محاولتهم الهروب بشكل جماعي تبدو محاولة شديدة السطحية إذ يوجه داني رسالة إلى شنتال طالبا منها أن تأتي سكان القرية الذين سوف يتم جلبهم للفرجة على نزال الملاكمة وهم يرتدون معاطف طويلة، وبعد أن يتحقق ذلك سوف يلبسها الجنود البريطانيون الأسرى ولك أن تسميها معاطف الإخفاء، والجنود النازيون من فرط انغماسهم في نزال الملاكمة سوف يتركزون مراقبة الداخل والخارج مما يتيح الفرصة للجنود البريطانيين للهروب.



**الفيلم يؤرخ لرحف النازيين تجاه البلدان الأوروبية وإسقاط حواضرها الواحدة بعد الأخرى وصولا إلى فرنسا وحدود بريطانيا**

وفي ما يتعلق بسيرة الجنود وتلك اليوميات التي اعتدنا على مشاهدتها في العديد من الأفلام، حيث يتم تسجيلها من وقائع يوميات الحرب، وبما يعطي إحساسا بجماليات السير الذاتية المتشابهة لجنود في الميدان، فإن هذا النوع من السرد لم يحقق كثيرا من التراكم البصري والمعنوي الذي يشبع تلك الرغبة في الاكتشاف من مفارقات الحرب وتحولاتها. ومن جهة أخرى فإن اقتراب قصص الحرب من الواقعية والوفاء للتاريخ كان في الغالب منصبا على اختيار شخصيات حقيقية من الميدان، لكننا هنا نفتقد ذلك الإدماج من بين الواقعي والتاريخي على الشاشة وبذلك افتقر الفيلم لعنصر إضافي يجدر الشخصيات ويمنحها أداء أعمق.

لكن شيئا من ذلك لن يقع، وتبقى هي تقود عربتها التي يجرها حصان وتقوم بأعمالها كالمعتاد.

#### الدراما الموازية

لاشك أن الحاجة إلى حيكات ثانوية قوية كانت ضرورية لدفع الأحداث إلى الأمام وتفجير أحداث أخرى لاسيما أننا أمام صراع مكتمل العناصر بين القوتين، ومن ذلك مثلا قرار داني الهرب مستخدما عربة شنتال ومتخفيا فيها، وهو فعل يعول عليه في تغيير مسار الأحداث من دون أدنى شك، وما هو يتخفى في العربة وسط رفض شنتال، ثم ما هو يختبئ أسفل العربة متحملا معاناة وضوئية الإخفاء هناك، ثم ما هو يخرج من العربة ثم يسلم نفسه للجنود الألمان، هذا مثال على عبقية رسم الحيكات الثانوية ببراعة ومهارة وهو ما أثار انتقادات واسعة لهذا الفيلم من طرف العديد من النقاد والمواقع السينمائية المتخصصة.

إن جوهر الصراع في هذا البناء الفيلمي سوف يحيلنا إلى تحول سوف يشغل أغلب المساحة الزمنية للفيلم ألا وهو نزال الملاكمة، وما هو داني يواجه ملاكها يدعمه الجنرالات النازيون، ويتحول الموضوع إلى سلسلة مشاهد حماسية بين الجنود الأسرى الإنجليز وبين النازيين، وهو تبسيط آخر سوف يمتد لمساحة أوسع من الفيلم.

الحاصل أن داني سوف يسقط خصمه من الضربة الأولى، وهو فعل فيه مبالغة قياسا لضخامة الخصم وقدراته، ثم يتواصل النزال بين الطرفين وبعد قتال عنيف ينتصر داني مما يثير حق الجنرالات النازيين، الذين سوف يخططون لنزال آخر أشد صعوبة يجلب ملاك ألماني عالمي من الوزن الثقيل، ولا يجد داني من سبيل إلا القبول بالأمر الواقع، وما نحن في هذه الدراما نكون قد تخففنا من مشاهد الحرب والدماء والقتال لتكتفي بنزالات الملاكمة وجولاتها المتعاقبة، إذ سوف نشهد نزالا جديدا، وكأنه كما قلنا نزع يختصر النزاع العسكري بين بريطانيا والنازيين، بل إن النازيين أنفسهم يتجنبون للجنود البريطانيين الأسرى تشجيع صاحبهم بلا قيد ولا شرط وحتى الجنرال النازي يدخل إليهم بينما هم يواصلون التدخين مسترخين ولا رد فعل من الجنرال سوى إصراره على إقامة نزال الملاكمة والتحضير له بما يكفي.

سوف تغيب في هذا الفيلم المختلف ساحة القتال وغرف العمليات وصراخ الجنرالات النازيين الذين يقتفون أثر زعيمهم هتلر وصراخه وعصبية، كل ذلك سوف نفتقده ولن نعثر إلا على جنود مختلطين بل إن أحد الحراس النازيين من يتردد في تمنى حظ سعيد لداني، ولا نعرف بالضبط سبب تعاطفه معه على حساب ابن بلده، وإذا مضينا في هذه الدراما فلربما تكون شخصية البطل المثقلة بداني هي التي أريد تكريسها لجهة تحمله وإصراره على الفوز، وهنا

وسواء كان ما هو معروض على الشاشة شخصيات فرادى كضباط للجيش النازي أو مجاميع جنود فإن هناك خطأ فاصلا لا يمكن تجاوزه، الآخرون في نظر النازي هم الأعداء الذين يجب القصاص منهم، وقبل ذلك الحذر منهم ومن تحركاتهم، ويبدو أولئك الجنود في العديد من الأفلام مثل بياق شطرنج يتم تحريكها من قبل جنرالات مؤدلجين وقساء.

إننا هنا أمام معالجة إشكالية، إذ تبدو تلك الخطوط الفاصلة أكثر وهنا ولا ندرى كيف ولماذا استنتج المخرج كل هذه اللبونة في وسط عاصفة من الانتقام التي ضربت النازية وجيشها، حتى أدلت أغلب البلدان الأوروبية واحتقرت كبرياءها من خلال إسقاط الحواضر الأوروبية الواحدة بعد الأخرى.

في المشهد الذي تتم فيه محاصرة المنزل الريفي سوف تتأسس العلاقة بين الغزو النازي الممثل بالضباط والجنود الألمان في مقابل أفراد من الجيش البريطاني يختبئون في منزل ريفي يعود لعائلة فرنسية.

التمطية السائدة هنا هي المواجهة الحقيقية مع النازيين من طرف الجنود الفارين وهو ما لم يتحقق، إذ قرر البريطانيون الاستسلام قبل أن تطلق أي طلقة، ومن جهة أخرى بدأ أن قتل الرجل المسن برصاصة في الرأس فعلا خارجا عن السياق، ولم يسهم في دفع الأحداث أو تطور الصراع، فعادة ما يقوم النازيون باستجابات قاسية وهو ما لم يتحقق هنا.

في المقابل وفي إطار تقديم شخصية نسائية واحدة ووحيدة في هذا الفيلم، فإن من الملاحظ في أفلام أخرى هو إغراق النساء في منظمات سرية وأعمال مقاومة وهو ما لم يتحقق في هذا الفيلم، شخصية جينيفر شنتال (الممثلة جينيفر مارتن) هي مثال على ما يمكن البناء عليه في ما يتعلق بشخصية المرأة.

وهنا يتم بناء شخصية درامية لها دور بالغ في دفع الأحداث فلا هي تتركه ولا تحب داني، الجندي الذي تسبب هو وزميله من دون قصد منهما في مقتل والدها، ولا هي تقترب من النازي، ولكنها في نفس الوقت تقوم بعملها اليومي من دون تقاطع مع النازيين وصولا إلى محاولتها قتل الجنرال النازي أثناء النزال.

ويمكننا هنا التوقف عند عدد من الأدوات والعناصر الفنية والجمالية التي تم استخدامها للنهوض بالفيلم ومن ذلك المونتاج وعناصر الحركة، ولكنها جميعا لم تشكل منظومة بصرية كافية لتجاوز العديد من الثغرات التي بدت واضحة في هذا الفيلم.

وإذا عدنا لشخصية شنتال، فهي قد شهدت مقتل والدها الذي تعيش معه وإذا بها تبقى وحيدة ومن حولها الجنود النازيون يتجولون وقد يقتلون أي أحد كما قتلوا والدها، وكل ذلك يحمل أسبابا كافية لفرارها من ذلك المكان الخطير،

إلى أسرى آخرين ما يلبثون أن يواجهوا داني لخوض نزال ملاكمة، قبل ترحيلهم إلى أحد المعتقلات الألمانية.

من هنا سوف يقع تحول في الدراما الفيلمية يغير كثيرا من الاعتبارات وذلك عندما سوف يعاد إنتاج ما يشبه شخصية رامبو الذي يخوض نزال الملاكمة بلا هوادة، ويحصل الصراع الدامي بين النازيين والبريطانيين ليس إلى معارك ضارية في الميدان بل إلى نزال ملاكمة تروي ضمنا الجنرالات الذين يريدون إلحاق الهزيمة بداني وفوز ملاك شرس من أبناء جلدتهم.

لا شك أن حلا دراميا كهذا بقدر ما يحمله من تشويق لمعرفة من سوف ينتصر بين المتبارين، إلا أنه لم يكن كافيا لإقناعنا بمسار تلك الدراما وكيف انتهت من القتال الشرس في تلك الحرب الكارثية إلى مواجهة في حلبة الملاكمة.

بعد المخرج إلى خط سردي/ درامي مواز من خلال سعي الجنود إلى الهرب نهائيا من معسكر الاعتقال ومن المستغرب هنا إظهار ضباط النازية وهم متساهلون إلى حد كبير، مما أخلنا إلى طبيعة تلك العلاقة الإشكالية التي أراد المخرج من خلالها ربما كسر الصورة النمطية المتواترة من خلال العديد من الأفلام التي تناولت هذه القضية.

#### معالجة إشكالية

الصورة النمطية للنازي قبل وخلال الحرب العالمية الثانية موضوع آخر مواز نجد له حضورا في هذا الفيلم، فلا شك أن القسوة المفرطة والقتل المجاني والإبادة الجماعية والقطرسة والتعالي والترعة الإجرامية وعقد التفوق كانت كلها حاضرة في المئات من الأفلام التي تناولت هذا الموضوع ويبدو أن هذا الفيلم قد أعادنا إلى محور تلك المعالجات الدرامية التي اعتدنا عليها.

وأنت تتحدث عن الحرب العالمية الثانية التي هزت الكون وخلقت وراها الملايين من الضحايا وسوّيت مدن كاملة بالأرض، لا شك أنك سوف تكون أمام دراما متكاملة الأركان، ولهذا وجدت السينما ضالتها في إنتاج الأفلام الحربية - التاريخية التي تعرض يوميات الحرب. ولكن بعض الأفلام خيرت مقارنة الحرب من زاوية مختلفة مثلما فعل فيلم «خلف الخط».

الحربية وهو فيلم «دونكريك» للمخرج اللاسع كريستوفر نولان، فابن سوف يضع مخرج الفيلم موطئ قدمه وسط زحام يتسع للمئات من الأفلام التي عرضت عن تلك الحرب الكارثية.

#### المواجهة في الحلبة

في البدء يؤرخ الفيلم لرحف الجيوش النازية تجاه البلدان الأوروبية وإسقاط حواضرها الواحدة بعد الأخرى وصولا إلى فرنسا وحدود بريطانيا ما يدفع الجيش البريطاني للاستعداد للمواجهة، فيقوم الجنود البريطانيون بحفر الخنادق والاستعداد للمواجهة، ثم لتعرف على بعض الجنود الذين هم في داخل تكتتهم بمقتل بعضهم وانسحاب وهروب آخرين، وبسبب تداخل الحدود مع فرنسا حيث تقع المواجهات الشرسية فإن جنديين اثنين يظان طريقهما ويبقيان يجحان عن الطريق إلى ميناء دونكريك الإنجليزي. ينتهي الأمر بالجنديين إلى منزل ريفي لامرأة وأبيها العجوز، ويختبان في ذلك المنزل، ويطلق النازيون المكان.

بالفطرة العادية سوف يتبادر إلى الذهن محاولة البحث عن أي منفذ لغرض التملص من الجنود الألمان لكن الغريب في الأمر أن الجنديين يستسلمان لقرارهما، فيستعدان لتسليم نفسيهما إلى النازيين وهو ما يقع فعلا.

داني فينغان (الممثل سام جيتنس) هو الشخصية الرئيسية التي سوف تدور حولها الأحداث، وهو سوف ينضم

**طاهر علوان**  
كاتب عراقي

قوتنا الصراع مصممتان على الفوز بالحرب مهما كانت النتائج، ولهذا استخدمنا كل ما تيسر من إمكانيات للوصول إلى هذا الهدف وفي المقابل، وقد تم إنتاج المئات من الأفلام عن تلك الوقائع الدامية وسوف نتذكر صورة الضابط والجندي النازي شديد الوحشية والانتقام وهو يصرح بالولاء لهتلر. ومع ظهور فيلم «خلف الخط» للمخرج بين مولي سوف نتساءل مباشرة، يا ترى ما هي الإضافات التي سوف يحققها هذا الفيلم على ركام من الأفلام التي عالجت العديد من قضايا الحرب العالمية الثانية.

**في هذا الفيلم المختلف تغيب ساحة القتال وغرف العمليات وصراخ الجنرالات النازيين الذين يقتفون أثر زعيمهم هتلر**

وهنا لا بد من النظر بشكل جدي إلى حقيقة مفادها أن الفيلم الذي أنتج هذا العام قد ظهر بالتزامن مع فيلم حربي مهم وهو 1917 لسام مينديس، وقبل ذلك فيلم شكّل نقطة فاصلة في الأفلام



الملاكمة صراع وجودي